

جغرافية بلاد الشام في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء

أ.د. عبد الكريم رشيد الجنابي

الباحث : باسم محمود علي

قسم الجغرافية كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة تكريت

الملخص:

كانت الجغرافيا في مقدمة العلوم التي أولاها العرب المسلمين كثيرا من اهتمامهم ومن بينهم أبي الفداء وعلى الرغم من الانجازات الكبيرة للعلماء العرب المسلمين فإن الأمة العربية الإسلامية تعرضت في فترة تاريخها الحديث لحركة من أشع حركات المحو، قصد بها طمس معالم الشخصية العربية الإسلامية والقضاء على مقوماتها التاريخية.

فلا بد أذن لأمة مثل امتنا العربية الإسلامية تريد إن تستعيد مكانتها في مجتمع الأمم إن تعمل جاهدة على معرفة ذاتها وتحقيقها تحقيقا كاملا وهذا ما نبتغيه في بحثنا، بالإضافة إلى التعرف على دور أبي الفداء في الدراسات الجغرافية الإقليمية، واعتمدت الدراسة على التحقيق في كتاب أبي الفداء المطبوع في مدينة باريس سنة ١٨٥٠م.

توصلت الدراسة إن كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء ومن خلال عرضه للمواضيع الجغرافية عن الوطن العربي إن يكون حقا مرجعا جغرافيا وتاريخيا واقتصاديا واجتماعيا لعصره، وتوصلت أيضا إن غرض أبي الفداء الذي كان يصبو إلى تحقيقه هو اشرف الأهداف دينا وأقومها دنيويا لأنه ابتعد عن تحقيق منفعة مادية في كتابه وهذا ما دعاه إلى الإجابة

وأمر وليس بحاجة إلى الهدف المادي بل كان يرعى العلماء ويكرمهم.

من الوجهة الإقليمية كان أكثر توفيقا في أقاليم العرب باعتبار الإقليم كوحدة ولذا كانت أقاليمه العربية أكثر شبها بالتقسيم الحالي، وتوصلت الدراسة أيضا انه سبق عصره واقترب من العصور الحديثة في طريقة البحث والدراسة ومعالجة المادة العلمية وتحقيقها وعرضها، والتزم بالمنهج الإقليمي فأعطى اهتمامه بالجغرافية البشرية وأن كان لم يهمل النواحي الطبيعية.

المقدمة Introduction

امتلك العلم الجغرافي العربي عراقة علمية شملت جميع فروع هذا العلم وقد تطور العلم الجغرافي العربي ، وتحدد مفهومه ومنهجه وطريقته في البحث عند الجغرافيين العرب المسلمين وكان ذلك بفضل جهودهم في البحث والتقصي واستخلاص النتائج عند دراسة الظواهر الجغرافية وبالتالي وضع قواعد علمية لدراسة الظواهر الجغرافية وكان من أهم سمات البحث الجغرافي عند العرب هو اعتماده على العقل المفكر الذي اعتمد على معايير علمية لدراسة الظواهر الجغرافية فكانت الطريقة البحثية عند العرب ذات منهج عربي مستقل لم تعتمد على النقل والتقليد عن السلف وهذا ما جعل البحث الجغرافي العربي يتسم بأصاله وعراقة عربية . كما اتصفت بحوث العرب الجغرافية بالشمولية والإحاطة بكل الظواهر التي عرفوها في المناطق التي طرقتها . كما إن تحديد أطار الظاهرة الجغرافية زمنيا ومكانيا يعد احد جوانب الاصاله في بحوث العرب الجغرافية وكذلك تحديد المفاهيم المتعلقة بالبحث لغويا وعلميا تعد إحدى الجوانب التي منحت البحث الجغرافي العربي هوية جغرافية متميزة عن مجالات البحث في العلوم الأخرى .

The theoretical framework of the study

أولاً: اختيار موضوع الدراسة messiest the subject of study

يتناول العلم الحديث في بحثه ودراسته الآثار القديمة, وسعى جاهداً في استنطاق المعدن والصخر والورق والخشب عن إخبار المدنات الماضية, يريد إن يعرف كيف عاشت الإنسانية في أيام حضارتها, والحضارة الإسلامية حلقة من حلقات هذه الحضارة العالمية تنبه لها العلماء واهتموا بأمرها ليتعرفوا على تاريخ الفكر الجغرافي العربي الإسلامي وفهم الثقافة الإسلامية , وإيمان العلماء بهذا جعلهم يواصلون البحث عن هذه المصادر المخطوطة يبعثونها حيناً بالتحقيق والنشر, وبالإيجاز والتلخيص, ليكتبوا صفحات جديدة من تاريخنا الفكري أو يضيفوا معلومات جديدة إلى معلوماتنا.

ثانياً: مشكلة الدراسة Study problem

تدور مشكلة الدراسة حول دور أبي الفداء في كتابة تقويم البلدان في وصف جغرافية بلاد الشام الطبيعية والبشرية إقليمياً واستناده العلمي في آرائه مع الآراء الحديثة لجغرافية لبلاد الشام واستندت فرضية الدراسة على ((هل استندت دراسة الجغرافية الإقليمية بلاد الشام الطبيعية والبشرية على أسس علمية رصينة , وهل أضافت المعلومات التي جاء بها أبي الفداء بمعلومات دقيقة عن بلاد الشام)) أضافه إلى أبرز المجهودات العظيمة التي بذلها الجغرافيين العرب في كافة حقول الجغرافية , فأن هناك غنياً شديداً لانجازاتهم العلمية , حيث نسب التقدم في حقول المعرفة الجغرافية إلى جغرافي الغرب , مع العلم

أن انجازات العلماء العرب المسلمين هي الركيزة الأساسية لتقدم علم الجغرافية وتطورها .

ثالثاً : فرضية الدراسة the study hypothesis

بما أن الفرضية عبارة عن حل مؤقت أولي لمشكلة البحث فقد حددت فرضية البحث بالنقاط التالية:

١. هنالك دوراً ريادياً لأبي الفداء في الجغرافية الإقليمية .
٢. أستند أبي الفداء على قواعد علمية ثابتة في تأليف كتابه إلى جانب الملاحظة والمشاهدة والاستماع.
٣. هنالك تطابق بين أراء أبي الفداء والآراء الجغرافية الحديثة إلى حد كبير في وصف بلاد الشام إقليمياً سواء في الجانب الطبيعي أو الجانب البشري .

رابعاً : مبررات الدراسة Justification study

إن الذي دفعني لكتابة هذه البحث أني بعد إن أتممت قراءة هذا السفر الكبير قراءة متأنية وجدت أن كثيراً من الأفكار التي نعدّها حديثة وننسبها من حيث كونها نظريات وأفكاراً جديدة إلى علماء محدثين من الأوروبيين وغيرهم , نجد أن جذورها موجودة في هذه الكتب التراثية العظيمة . بل أن طريقة عرضها جاءت اصدق وضوحاً من الأفكار الحديثة ولاسيما فيما يتعلق بالمنطقة العربية. ولعل ذلك يعود إلى إن الجغرافيين والمؤرخين العرب كانوا من أبناء هذه البلاد التي أحبوها واخلصوا لها .

تمثل هذه الدراسة محاولة لبعث مجهود علمي خالد من مجهودات أسلافنا الأمجاد . وانسجاماً مع مشكلة وفرضية البحث فإن الدراسة تهدف الإجابة على الأسئلة الآتية :-

- ١- إظهار أثر الحضارة العربية الإسلامية الحقيقي في التقدم العالمي وتبيان الدور الجوهري الذي قام به أبي الفداء في إرساء قواعد الحضارة الحديثة.

- ٢- بيان مساهمة الجغرافيين العرب ومسلمين , ومنهم أبي الفداء في التراث والفكر الجغرافي العالمي .
- ٣- الرغبة في المساهمة في تعريف القارئ العربي بمنجزات علماء الجغرافية العرب المسلمين في ميادين الدراسات الجغرافية .
- ٤- تسليط الضوء على منهج أبي الفداء العلمي خدمة للباحثين المعاصرين ؟
- ٥- المشاركة في سد النقص في المكتبات العربية الإسلامية بأبحاث تخدم التراث الجغرافي العربي الإسلامي .
- ٦- توضيح مدى اهتمام المستشرقين الغربيين والروس بأبي الفداء وكتاباته.
- ٧- ربط الماضي بالحاضر والمستقبل ونستمد من الماضي أمجاده وأسس سؤده ومثالياته العليا وأسباب عظمته وقوته, ونعلم منه وعن طريق معرفتنا الصحيحة به نعلم حقيقة كفايتنا العلمية.

خامساً : منهج الدراسة Study Approach

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي المقارن منهجا أساسيا في هذه الدراسة , وذلك لتحقيق هدف البحث وبما ينسجم مع المشكلة والفرضية , حيث سيتم أخذ كتاب تقويم البلدان بالدراسة والتحليل في معرفة الأقاليم للوطن العربي وفي ضوء الدراسات المعاصرة ومن ثم إجراء مقارنة مع الوقت الحاضر قدر المستطاع من أجل توضيح مدى إسهام وإبداع أبي الفداء في الجغرافية الإقليمية للوطن العربي .

سادساً : حدود الدراسة The Limits of the study

تمثل حدود الدراسة ثلاثة إبعاد:

- ١- البعد النظري: المتمثلا بكتاب تقويم البلدان لأبي الفداء
- ٢- البعد الزماني: إذ يشكل القرن السابع الهجري(الثاني عشر الميلادي)مجالا للبحث.

٣- البعد المكاني: متمثلاً بجغرافية بلاد الشام .

سابعاً : هيكلية الدراسة Structural study

اقتضت منهجية الدراسة تقسيم المبحث إلى ثلاث مباحث تناول المبحث الأول الإطار النظري للدراسة والمبحث الثاني سيرة حياة أبي الفداء (٦٧٢هـ - ٧٣٢هـ / ١٢٧٣م - ١٣٣١م) من حيث نسبه واسمه واهم مؤلفاته في حين تناول المبحث الثالث الجغرافية الطبيعية والبشرية لإقليم بلاد الشام في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء وتناول الجانب الطبيعي السطح والمناخ و الموارد المائية إضافة إلى التربة والنبات الطبيعي.

أما الجانب البشري فتناول جغرافية السكان وجغرافية المدن والعمران والمسافات والأطوال, كما تناول الجغرافية الاقتصادية متمثلة بجغرافية الزراعة والثروة الحيوانية وجغرافية النقل والتجارة والصناعة والمعادن إضافة إلى السياحة والترفيه, وانتهت الدراسة بأهم الاستنتاجات والتوصيات وقائمة بأسماء المصادر التي ورد ذكرها في البحث.

المبحث الثاني:- سيرة حياة أبي الفداء (٦٧٢-٧٣٢ هـ/١٢٧٣-١٣٣١م)

١- أسمة ونسبة

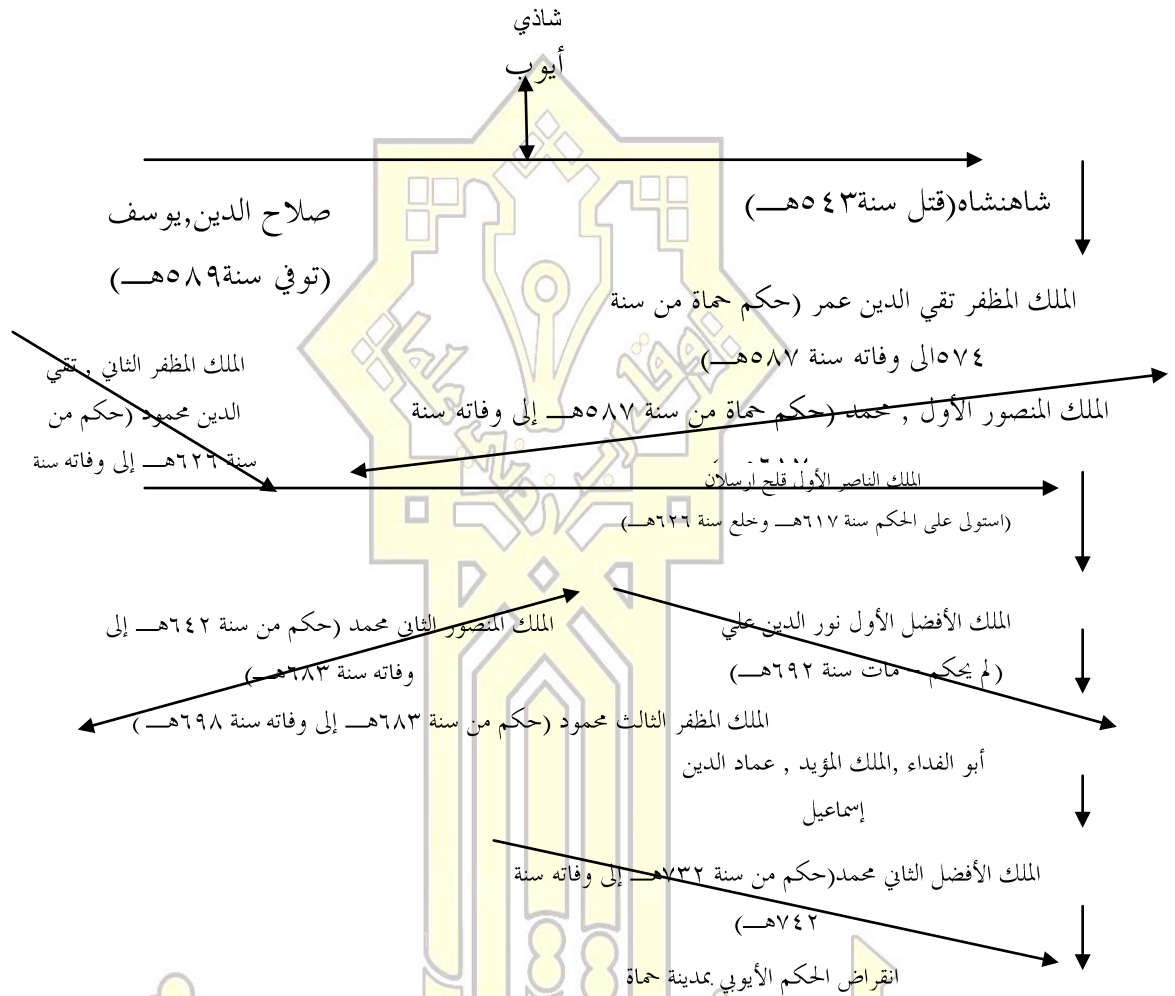
هو إسماعيل بن علي^(١) بن محمود^(٢) بن تقي الدين^(٣) عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين^(٤) أيوب بن شادي^(٥) وأيوب هو والد صلاح الدين وبه عرفت الأسرة الأيوبيه التي كانت قد هاجرت من العراق

واستقرت في بلاد الشام ولعبت دوراً مهماً في الإحداث السياسية والعسكرية في هذه المنطقة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين^(٦).

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد أصل الأيوبيين فقيل أنهم كرد من الأكراد الرواندية من أذربيجان وقيل أنهم عرب، وقيل أنهم أكراد مستعربون* كان أول من حكم حماة من الأيوبيين الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه^(٧) ابن أخي صلاح الدين الذي ملك حماة^(٨) حيث أحبة السلطان صلاح الدين لأنة شاركه بكل حروبه التي خاضها^(٩) وتوارث أجداد أبو الفداء الحكم على حماة إلى حد سقوط الدولة الأيوبية على يد المماليك ، وتمكن أبي ألفداء بعقلة السياسي الناجح إن يعيد حكم أسرته لمدينته حماة ، ورحل إليها فاتصل بالملك الناصر** فأحبة الناصر وأقامه سلطانا مستقلا في حماة^(١٠) ليس لأحد إن ينازعه السلطة ، واركبه شعار الملك.

- * حيث ما قيل عن نسب أجداده الأيوبي في كتابة , الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية أنه من الثابت أن لغتهم أي الأيوبيين كانت اللغة العربية وذكر الحسن ابن داود وقطع أنهم ليسوا أكرادا , بل نزلوا عندهم فنسبوا إليهم , كما أن الحسن بن داود قد رجح في كتابة صحة شجرة النسب التي وضعها الحسن بن غريب , والتي فيها نسبة العائلة إلى أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي محمد بن عنتر بن الحسين بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هذبه بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فهر , وهو جد قریش .
- ** الملك الناصر هو سلطان دولة المماليك في مصر الذين تمكنوا من القضاء على الدولة الفاطمية وأخذوا في بسط سيطرتهم على بلاد الشام فتقرب منهم أبو ألفداء ملك حماة ونجح بحكمته ودرايته السياسية أن يعيد ملك الأيوبيين إلى مدينة حماة.

- وفيما يلي مخطط يبين تسلسل الحكم^(١١) في بيت تقي الدين بحماه منذ بدايته سنة ٥٧٤هـ



تتفق المصادر التاريخية على وفاة أبي الفداء كانت في الثالث والعشرين من المحرم سنة (٧٣٢هـ) الموافق في يوم ٢٧ تشرين الأول سنة (١٣٣١م)^(١٢) في حماة، وكان قبل وفاته قد هيا تربيته وشيد جامعاً على ضفاف نهر العاصي مقابل قلعة حماة يطلق عليه جامع الحيايا*، وثمة ضريح أبي الفداء داخل هذا البناء^(١٣)،

ولكن الملفت للنظر إن شاهدة قبر أبي الفداء كتب عليها ما نصه "هذا مرقد العالم الكبير إسماعيل أبي الفداء ملك حماة سنة ٧٢٧هـ".

بينما أجمع المؤرخون على إن وفاته كانت سنة (٧٣٢ هـ / ١٢٣١م)^(١٤) , ولعل ذلك يوضح أن شاهدة القبر قد هيئاً أبي الفداء إثناء تشييده للجامع قبل وفاته , فإهمال كلمة توفي تدل على أنه لا زال حياً , ويبدو أن أبي الفداء قد أعد العدة قبل وفاته وتوقع أجلة سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٦م), وذكر أبي الفداء في المختصر ((انه لم يبلغ من أهلي احد من قبل عمر الستين أبدا حتى ابلغه أنا)), وتوفي أبي الفداء سنة ٧٣٢هـ وهكذا انطوت صفحة هامة من تاريخ حماة^(١٥) بوفاة هذا العالم الكبير , الذي لم يرى الناس , على قول ابن الوردي , في الملوك أفضل منه بعد المأمون.

ممن جمع الملك والعلم معاً . وفي العصر الحديث ناداه مؤلف كتاب (القديم والحديث) ((يا ثاني المأمون بعلمك وعقلك, وثاني صلاح الدين بعدك وجهادك))^(١٦).

٣- من أهم مؤلفاته :

١- **تقويم البلدان** : ألف أبي الفداء كتابة الجغرافي المشهور " تقويم البلدان " الذي يشكل حلقة وصل بين الجغرافية الأدبية الوصفية والجغرافية الرياضية.

٢- **المختصر في أخبار البشر** : وهو من أشهر تصانيفه علميا وهو مصدر مهم في دراسة التاريخ , فهذا الكتاب تاريخ تام في أربعة أجزاء تناول التاريخ من فترة قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى وفاته.

٣- اللطائف السنية في التواريخ الإسلامية : هذا الكتاب لفخر الدين عثمان المعروف بالعدولي الحمصي , وقد اختصره أبي الفداء في مجلد صغير ومن الواضح أنه في التواريخ^(١٧) .

* جامع الحيات , يطلق عليه عامة الناس في حماة لوجود أعمده من الرخام داخل الجامع نحتت على شكل حيايا وهي في غاية الزينة , ويسمى جامع الدهشة أيضاً لجمال بنائه وروعة موقعة اللذين كانا يدهشان الناظر المتأمل إليه .

٤- الكناش : اتفق المؤرخون انه في مجلدات كثيرة^(١٨) وأضاف حاجي خليفة انه شرح لطيف^(١٩) ولم يشر المؤرخون إلى ماهية هذا الكناش في أي حقل من العلوم هو إلا أن معاجم الكتب المعاصرة أشارت إلى ذلك ولكنها اختلفت في تحديد صنف العلم الذي يندرج تحته هذا الكناش فيذكر الزركلي انه كناش في النحو والصرف^(٢٠) بينما يشير كحالة إلى انه كناش في العلوم^(٢١) نون أن تعلم صنفه بالتحديد لأنه مازال مخطوطاً .

٥- العروض والأطوال : يعد هذا الكتاب فريد في بابيه وهو من المصنفات الجغرافية التي اغفل ذكرها المؤرخون ومن ترجموا لأبو الفداء , باستثناء الحنبلي الذي انفرد بذكره وسماه (العروض والأطوال والكلام على البلدان في مجلد)

٦- تاريخ الدولة الخوارزمية : ذكره الزركلي ولا نعلم مصدره في نقل خبر هذا الكتاب إذ لم يشر المؤرخون إلى مثل هذا الكتاب لأبي الفداء وأضاف انه مطبوع دون إن يشير إلى دار ومكان الطبع^(٢٢) .

٧- نوادر العلم : انفرد الزركلي بذكر هذا الكتاب ولا نجد إشارة لهذا الكتاب بين كتب التراجم التاريخية وحتى المعاصرة^(٢٣) .

٨- كتاب الموازين : ذكر عنه أصفدي والكتبي وحاجي خليفة إن له كتاب الموازين جودة وهو صغير ^(٢٤) دون أي أضافه تذكر .

٩- نظم الحاوي في الفقه : هذا الكتاب هو الحاوي الصغير في الفروع على مذهب الإمام الشافعي وهو لعبد الغفار بن عبدالكريم القزويني (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٦٦م)، ذكره حاجي خليفة وذكر عنه انه كتاب وجيز لأبي الفداء بسيط المعاني جيد التبويب ^(٢٥) .

١٠- شرح الكافية في النحو : ألف الكافية النحوي المشهور عثمان بن عمر بن الحاجب (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وقد وصف حاجي خليفة هذا الشرح فقال ((وهو شرح لطيف , علة (أي أبي الفداء) من شرح المصنف لهذه المنظومة ومن غيرها ومن غيرها من شروح الكافية)).

المبحث الثالث :- الجغرافية الطبيعية والبشرية لإقليم بلاد الشام في كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء

أولاً:- جغرافية بلاد الشام الطبيعية

السطح Surface

يكاد يتفق تقسيم أبي الفداء لإقليم بلاد الشام مع تبين مظاهر السطح بها وهذا ما سار عليه غيره من الجغرافيين السابقين واللاحقين, فمظهر التضاريس يعتبر أساس التعميم لديهم.

ولقد تحدث أبي الفداء عن أقسام السطح في بلاد الشام وقال ((واعلم إن الشام خمسة أجناد)) ^(٢٦) وهي:-

- جند قنسرين
- جند دمشق
- جند حمص
فلسطين

- جند الأردن

ثم بين طول وعرض تلك الأجناد (أقسام السطح) ثم أورد الحديث عن مظاهر السطح لتلك الأقسام وابتدأ بفلسطين وقال ((وهي كورة كبيرة))^(٢٧) ثم بين أقسام سطح فلسطين التي يقسمها الغور إلى قسمين يشمل زغر والبحيرة المنتنه (البحر الميت) إلى طبرية يسمى الغور^(٢٨) والقسم الثاني رفح والجبال والشرارة^(٢٩) .

وقد ذكرت الكتب الجغرافية الحديثة بأنه يتصف سطح بلاد الشام بالتنوع في مظاهره بين سهول ساحلية ومرتفعات جبلية وابرز ظاهرة هي البحر الميت ووادي الغور (نهر الأردن) والسهول الساحلية الممتدة على طول ساحل البحر المتوسط، أما المرتفعات الجبلية فإنها تتمثل بجبال امانوس في الشمال والتي تمتد على شكل سلسلة من جبال طوروس من الجنوب العربي إلى البحر المتوسط ثم جبال العلويين التي فيها اعلي قمة ٣٨٦ متر^(٣٠) .

وتنقسم هذه إلى قسمين جبال لبنان الغربية ثم جبال لبنان الشرقية التي تبدأ من جنوب حمص حتى القنيطرة ويفصل بين تلك المرتفعات أعالي نهر العاصي وهي مرتفعات تمتد مع نهر العاصي ويسير النهر فيها الذي يتجه شمالا مارا بحمص وحماة وسهل البقاع الذي يجري فيه نهر الليطاني متجها جنوبا حتى مرجعيون ومنها يصل غربا ليصب في البحر المتوسط، وتعد مرتفعات فلسطين امتدادا جنوبيا للمرتفعات الغربية لبلاد الشام ويغلب ويغلب عليها الطابع الهضبي وأبرزها هضبة الجليل في الشمال وهضبة الخليل في الجنوب، وتتوسط تلك الهضبة مدينة القدس* .

*القدس: وهي من بين المدن العظيمة في البلاد العربية والإسلامية اكتسبتها منذ القدم، وبنا المسلمون المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وكانت قبلة المسلمين قبل الكعبة، وزادت أهميتها الحديثة بعد الإسراء والمعراج (المصدر: أبي الفداء، مصدر سابق، ص ٢٢٧) .

ومن الظواهر السطحية لبلاد الشام (البحر الميت) الذي يقع في الجزء الجنوبي من وادي الغور (وادي العربية حالياً)^(٣١) ويبلغ طوله ٧٦ كم وأقصى عرض له ١٥ كم^(٣٢).

ويذكر أبي الفداء في حديثه عن بحيرة زغر التي قال ((هي على بعد شـوط فرس من أريحا))^(٣٣) وذلك انعدام الحياة النباتية والحيوانية داخل البحيرة (البحر الميت) وقال ((بحيرة المنتنة وليس فيها حيوان ولا سمك ولا غيره وهي تقذف بشيء اسمه الحمر ويلطخ فيه أهل تلك البلاد كرومهم وأشجارهم ويزعمون انه للشجر كالتلقيح للنخل))^(٣٤). والكتب الجغرافية الحديثة تشير إلى الغور ينخفض عن البحر الميت إلى (٣٩٤ متر) عند مستوى سطح البحر ويستقر حتى خليج العقبة على رأس البحر الأحمر.

المناخ the climate

جاءت ملاحظات أبي الفداء في موضوع المناخ لبلاد الشام بصيغ ملاحظات عابرة. فقد أثار عن احمد الكاتب في المسالك والممالك والذي اثني فيه على العراق ومنهم الشام ومصر فقال ((الشام الولي هواءه الضيقة مغازلة الحزنه أرضه متصلة طواعينه الجفاة أهله))^(٣٥).

وجاء أبي الفداء بحديثه عن مدينة إعراز* في الشام وقال ((لمدينة إعراز في نهاية الحسن والطيبة والخصب , وهي من أنزه الأماكن التي فيها جهاتها))^(٣٦), نفهم من كلام أبي الفداء هذا عن هذه المناطق من الشام بأنها ذات مناخ معتدل والدليل على ذلك انه وصف مناخها بغابة الحسن والغابة المنتشرة والزراعة والخضرة منها ويكون الخصب ناتج أخير نتيجة توفر العوامل المؤدية إلى الخصوبة وهذا ناتج من توفر التربة الملائمة للزراعة ونجاحها^(٣٧), وقد وفق أبي الفداء في حديثه السابق عن المناخ إن الأمطار تسقط بكميات مناسبة في المنطقة

التي أشار إليها أبي الفداء وهي (إعزاز) حيث ذكرت المصادر إن هذه المنطقة من أهم المناطق التي تعتمد على ما يسقط من إمطار الذي تعتمد عليه في إنتاجها الزراعي^(٣٨).

الموارد المائية water Resources

تعد الموارد المائية من أهم المقومات الطبيعية لاستعمالات الأراضي، وذلك لدورها الحيوي في حياة الإنسان ونشاطاته المختلفة، إذ لا يمكن تصور قيام أي نشاط دون وجود مياه سواء كانت تلك المياه سطحية أو جوفية ومن خلال استعراضنا السابق يتبين إن بلاد الشام تعتمد بالدرجة الأساس على المياه السطحية للأنهار الجارية على سطحها كذلك المياه الجوفية بالإضافة إلى كميات الإمطار الساقطة خلال مواسم الإمطار.

*إعزاز: وهي من المدن المشهورة من أعمال حلب وأيضاً يوجد فيها قلعة حصينة في تلك المدينة تأخذ نفس اسم المدينة (إعزاز) (أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٢).

وكان لتلك الموارد المائية أثرها في الفلاحة في الديار العربية الإسلامية ومنها الشام^(٣٩) وقد تعرض أبي الفداء لموارد المياه في فلسطين فيقول ((ماؤها من الإمطار وأشجارها وزرعها غذاء الانابلس فان فيها مياهها جارية))^(٤٠).

هنا تحدث أبي الفداء عن فلسطين وذكر بأنها تسقط عليها إمطار كافية باستثناء مدينة نابلس فإنها تعتمد على المياه، وتوجد في منطقة نابلس العديد من الأودية المؤقتة الجريان ومنها انهار صغيرة دائمة الجريان والتي تعتبر من مصادر المياه الرئيسية في المناطق القريبة من نابلس^(٤١).

وقد أورد أبي الفداء في حديثه عن الأماكن في الشام بإشارات إلى انهار سماها ((صغار من أعين))^(٤٢)، حيث ذكر بلدة صغيرة تسمى مصيف^(٤٣)، وذكر وجود الأنهر الصغيرة فيها وأعين الماء وإنها توجد فيها بساتين.

بعد ذلك ذكر مصادر المياه في القسم الآخر من الشام وهو لبنان وقال أنها ((انهر تخرج من جبال لبنان ويجري إلى البقاع))^(٤٤)، تبين في حديثه هذا عن الأنهار التي تؤلف نهر بردى الذي يجري في سهل البقاع ومن ثم يصل دمشق ، ومن الأنهر التي ذكرها أبي الفداء في بداية كتابه عن انهار العالم الإسلامي بشكل عام ومنها نأخذ ما أورده عن انهار الشام باعتبارها من الموارد المائية لإقليم الشام ومن هذه الأنهر:-

- نهر العاصي^(٤٥) وأطلق عليه اسم نهر حماه على اسم مدينته.
- نهر الهرماس والخابور^(٤٦) وهما من روافد نهر الفرات.
- نهر الأردن^(٤٧) وهو من الأنهار التي ذكرها أبي الفداء باعتبارها من مصادر الموارد.

التربة والنبات الطبيعي Soil Natural pliant

تعتبر التربة من الموارد المهمة التي يعتمد عليها بطرق مختلفة^(٤٨) ، باعتبارها أهم ما أعطته الطبيعة للإنسان كونها المصدر العام الذي يكون الطعام والشراب وهما المطلبان الأساسيان للحياة. فإذا كان الشراب مصدره الماء وحده فإن الطعام لا يمكن توفيره إلا إذا اجتمعت التربة إلى جانب الماء^(٤٩). إضافة إلى أن التربة تعتبر مصدر اقتصادي دائم ولها أهمية في المجال الزراعي والاقتصادي وغير ذلك من المجالات الأخرى^(٥٠). وفيما يخص ما جاء أبي الفداء حول التربة في بلاد الشام ذكر أولاً عن التربة في بيت المقدس وقال ((ليس فاء جار سوى عيون لا تتسع للزروع وهي من اخصب بلاد فلسطين))^(٥١)، يفهم من ذلك إن أبي الفداء يبين لنا نوعية التربة في القدس ويصفها بالتربة الجيدة ولكنها تفتقر إلى توفر مصادر المياه وخاصة السطحية (الأنهار).

وذكر مدينة الرستن* وقال عنها ((هي على جبل أكثره تراب بسطحها في المنبسط الأخذ إلى حمص))^(٥٢)، يفهم من ذلك انه تحدث عن السهل المنبسط لحمص الذي يروى من نهر العاصي ووصف هذه السهول وقال ((الأرض خصبة جدا اصح بلاد الشام تربة))^(٥٣) يتضح ان عوامل طبيعية ساعدت على خصوبة التربة تتمثل بتأثير نهر العاصي في تكوين السهل إضافة إلى سقوط الأمطار والثلوج .

ومن المصادر التاريخية عن الشام وتربتها حيض وصف بالمرج الخصب ووابل كثرت أشجاره وطردت أنهاره^(٥٤) وهذا دليل على ان الشام ذات تربة خصبة وانهار وفيرة وسقوط إمطار على أقسام جباله وبذلك هنالك تنوع في ترب الشام.

إما فيما يخص النبات الطبيعي:

فقد ذكر كثيرا من الأشجار التي يتميز بها كل جزء من بلاد الشام، فذكر شجر الزيتون والتين والكروم وشجر الصنوبر إثناء حديثه عن أقسام المنطقة الجبلية في بلاد الشام.

جاء أول حديثه عن النبات الطبيعي في المناطق المجاورة لبحيرة المنتنة (البحر الميت) حيث قال ((وليس بها زرع ولا ضرع ولا حشيش وهي بقعة سوداء))^(٥٥)، نفهم من حديثه هذا ان أراضي البحر الميت هي أراضي غير صالحة للزراعة بسبب انتشار الملوحة وان عدم وجود نباتات طبيعية (حشائش) هو لندرة سقوط الأمطار في أراضي منطقة البحر الميت^(٥٦) أما وصفه لها بأنها ارض سوداء فإنها لان طبيعة الصخور المنتشرة فيها هي كتل صخرية كبيرة ذات لون اسود^(٥٧)، وذكر انتشار لأشجار الزيتون والتين في منطقة إعزاز القريبة من حلب ووصفها بأنها من أنزه الأماكن وجميلة المنظر بطبيعتها وقال ((

إعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والخطب^(٥٨)، وبعدها جاءت لأبي الفداء إشارة عن النبات الطبيعي في أماكن الشام الأخرى وبصيغة (ذات أشجار)^(٥٩). إن ما ذكره أبي الفداء في مجال النبات الطبيعي جاء متطابقا مع وجهة نظر الدراسات الحديثة حيث تذكر المصادر إن انتشار النبات الطبيعي والغابات في بلاد الشام حيث تكثر الأمطار على الجبال الغربية وتتو الأعشاب في المناطق التي يقل فيها المطر وهي إعتشاب فترة نموها قصيرة لمدة موسم فقط ثم يقل النبات الطبيعي كلما اتجهنا جنوبا وشرقا فعلى المرتفعات الغربية توجد أشجار البلوط والشربين والصنوبر وكثير من الأنواع^(٦٠).
*الرسن : هي مدينة قديمة تقع في جنوب نهر العاصي (أنظر:أبي الفداء، نفس المصدر ، ص ٢٣١).

ثانيا:- جغرافية بلاد الشام البشرية

١ - جغرافية السكان population Geography

وصف أبي الفداء كل بشكل دقيق كل ما يتعلق بالمدن التي زارها وجاء ضمن النصوص الكثيرة التي تحدث عنها السكان الذين يقطنون تلك المدن، وبلاد الشام اخذ الحيز الأهم عند أبي الفداء في كتابه ((تقويم البلدان)) لاعتبارات انه من تلك البلاد وبحكم موقعه السياسي كحاكم ومملك لمدينة حماه* .
وتأتي أهم الدراسات السكانية بوصف السكان في المناطق الجبلية والمتاخمة لسيطرة الفرنجة(الصليبيين) وقال عنهم ((بأنهم متمردون))^(٦١) في فترة حكم أجداده من قبل وأمدنا بنصوص فيها معلومات قيمة عن السكان في المدن والتنوع السكاني بها، ذكر أولا العرب المسلمين حيث قال ((ومعان مدينة صغيرة سكنها بنو أمية ومواليهم))^(٦٢) وعن مدينة الرملة قال ((الرملة بلدة بفلسطين اختطها سلمان بن عبد الملك الأموي))^(٦٣) وجاء بنصوص كثيرة عن المدن والبلدات ووصف السكان بها بعبارة ((قارة))^(٦٤) و((الشوبك))^(٦٥) وذكر بان غالبية سكانها نصارى.

أما القبائل Phyla فإن الامتداد الطبيعي بين الجزيرة العربية وبلاد الشام سهل كثير من القبائل على النزوح والاستقرار بها وخاصة بعد الفتوحات العربية الإسلامية، فذكر القبائل التي تسكن في حيار بني القعقاع وقال ((وأهلها عبس وفزارة وغيرهم))^(٦٦)، أما في مجال إعداد السكان فإنه لم تمدنا المصادر التاريخية بإعداد سكان بلاد الشام وكل الذي ذكر عن السكان جاء بصيغة نصوص تبين الدين أو القومية أما النصوص التي تحدثنا عنها كقوله ((أهلة)) تشير أنها ذات مناطق سكانية عالية الكثافة.

٢- جغرافية المدن Cities Geography

أتسع اهتمام أبي الفداء بهذا الجانب اهتماما كبيرا وأخذت دراسة جغرافية المدن في كتابة اتجاهين في حديثه عن إقليم الشام أحداها وصفي، ركز فيه على وصف المدن وبدقة مركزا على تاريخها وأجوائها وسكانها وأهم منتجاتها وتعاملاتها التجارية مع الآخرين.

*حماة: حماة مدينة من مدن بلاد الشام(بسوريا حاليا) وهي بمنطقة زراعية وخصبة وكانت محاطة بسور كبير البلدان، ج٣، ص٦٣. وينظر أيضا: عبد الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استنادا إلى الجغرافيين العرب، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص٢٠. وأعطى اهتمام في وصفه عن مدن الثغور باعتبار أنها أماكن بحالة حرب دائمة على أطراف حدود الدولة العربية الإسلامية مع الروم، وقال ((ثغور الشام كانت أذنه وطر سوس))^(٦٧).

وبعدها ذكر لنا استيلاء الروم عليها في حالة الضعف التي تمر بها الدولة الإسلامية سنة ٣١٥هـ وفي حديثه عن المدن والعمران تحدث عن بناء المدن وقال ((وتم بناء المقدس))^(٦٨) وتحدث أيضا عن مدينة بيروت وذكر بأنها مدينة لها

ميناء وأورد ذكر مصادر مياه شرب سكانها وقال ((من قناة تجر إليها))^(٦٩) وتحدث عن مدينة عمان وقال ((عمان مدينة أولية خراب من قبل الإسلام))^(٧٠)، ومن المدن الأخرى مدينة حمص وقال ((وحمص مدينة أولية في الشام))^(٧١) إذ تحدث بأن أكثر ((زروع رساتيقتها عذراء))^(٧٢)، بالإضافة إلى انه تحدث عن العديد من المدن وامتاز أسلوبه بالدقة في الإدلاء بالمعلومة عن المدينة.

أما الاتجاه الثاني في دراسات أبي الفداء في جغرافية المدن والعمران فهي دراسات اقترنت بالتحليل وفي هذا الاتجاه تحدث لنا عن المدن التي ذكرها من مبدأ دفع المضار ويكون ببناء أسوار للمدن.

وأورد أبي الفداء في حديثه عن هذا الجانب عن (٥٤)^(٧٣) قلعة ذكرها بصيغة ((قلعة)) ((سور)) وتحاط هذه القلاع بسور يحدد حدود المدينة إضافة إلى أغراض دفاعية للمدينة من هجمات محتملة.

وتشيد هذه الأماكن الحصينة أحيانا فوق مرتفع أو عند السواحل لحماية المدن الساحلية، وأحيانا تقوم الحصون على طرق الغزوات الرئيسية^(٧٤)، ومن أهم تلك القلاع نذكر حصن عجلون وقال ((وعجلون حصن ودبضة يسمى الباعونة على جبل الغور الشرقي بالقرب من مدينة بيسان))^(٧٥).

واقترن أشاء تلك القلاع والحصون والأسوار في مدن يراعى فيها توفر الماء والأراضي الصالحة للزراعة وبذلك تتكامل الصورة لتلك القلاع في تحقيق هدفين أبي دفع المضار وتحقيق المنفعة^(٧٦)، وتحدث عن الجوانب العمرانية في المدن الأثرية وجاء ذكرها بصيغة ((آثار عظيمة)) و((مدن آثار)) و((وفيها آثار)) وبين إن قسما منها ((خراب)) أي مندثرة والقسم الآخر لا زالت باقية وحضيت بتجديد بنائها ومنها بيت المقدس*.

* بيت المقدس: بيت المقدس مدينة من بين ثلاث مقدسات في العالم الإسلامي بعد مكة والمدينة المنورة وهي مسرى رسولنا الكريم محمد ((صلى الله عليه وسلم)).

وعن الفن المعماري تحدث عن المساجد وأوردها تكرارا مع ذكر المدن ويذكر وبها ((مسجد)) وعن المساجد في المدن قال ((دمشق مدينة وبها مسجد ليس في الإسلام أحسن ولا أكثر نفقة))^(٧٧).

٣- المسافات والأطوال

ذكر أبي الفداء المسافات بين المدن في بلاد الشام وطول هذه المسافات تساوي لنا طول الشام وقال ((المسافات بالشام هي))^(٧٨):-

- مالطية إلى منبج أربع مراحل
- ومنبج إلى حلب مرحلتان
- حمص إلى دمشق خمسة مراحل
- ودمشق - طبرية أربع مراحل
- طبرية - الرملة ثلاث مراحل
- الرملة - رفح مرحلتان

وجميع هذه المسافات بين المدن يساوي خمسة وعشرون مرحلة^(٧٩), أما عرض الشام فذكر اعرض ما فيه من جسر منبج على الفرات إلى طرسوس عشر مراحل وعرضه من الطرف الثاني من حد فلسطين من (يافا) إلى عمان ست مراحل.

وتحدث أبي الفداء عن الطرق الخارجية من بينها طريق الشام والجزيرة العربية وقال ((كانت غزة مستطرقا لأهل الحجاز))^(٨٠) والطريق الرابط بين العراق وبلاد الشام وقال ((وحلب بلدة عظيمة قديمة وهي على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشاميات))^(٨١), والطريق الثاني أطلق عليه الرصيف* وهو أيضا بين العراق وبلاد الشام, وأورد الطريق الذي يربط مصر ببلاد الشام عبر مدينة طبرية*, لاحظ الجدول رقم (١).

ت	المسافة من - إلى	المسافة من الخارطة وما يساويها من الطبيعة/كم	المسافة عند أبي الفداء بين المدن	ما يساويها بالكيلومتر
١	مالطية - منبج	٣٠٠ كم	٤ مراحل	١٤٠ كم
٢	منبج - حلب	٣٩٠ كم	مرحلتان	٧٠ كم
٣	حمص - دمشق	١٤٠ كم	٥ مراحل	١٧٥ كم
٤	دمشق - طبرية	١٢٣ كم	٤ مراحل	١٤٠ كم
٥	طبرية - الرملة	١٥٤ كم	٣ مراحل	١٠٥ كم
٦	الرملة - رفح	١١٠ كم	مرحلتان	٧٠ كم
٧	جسر منبج - طرسوس عرض الشام	٤٢٠ كم	١٠ مراحل	٣٥٠ كم
٨	يافا - عمان وعرضه من فلسطين	١٤٦ كم	٦ مراحل	٢١٠ كم

- *الرصيف: وهو طريق بري يربط بغداد بمدن حوران ومسافته نحو عشرة أيام(المصدر: أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٥٩).
- **طبرية: طبرية في العربية قفز واختبأ وهي مدينة متصلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل الطور وتعتبر من مدن الثغور الفلسطيني وتقع على طريق القوافل التجارية بين دمشق ومصر، أجوائها صحراوية، وتتوفر فيها المياه والتي تنبع من جهات مختلفة من البحيرة حيث تعد من اهم مناطق الاستشفاء(المصدر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٦).

جدول رقم (١) يبين مسافات طرق النقل بين المدن في بلاد الشام التي ذكرها أبي الفداء وما يعادلها حالياً على الخريطة المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج arc map

الجغرافية الاقتصادية

١- الزراعة والثروة الحيوانية

تنتشر حرفة الزراعة في اغلب الأقطار العربية الإسلامية خاصة تلك التي تنعم بجريان المياه الدائمة وكانت من الأنشطة البشرية المهمة التي ذكرها أبي الفداء وجاءت متزامنة مع حديثه عن المدن في الإقليم وفي هذا الجانب أعطى لنا وصفا دقيقا فأورد بنصوص مع المدن بعبارات ((الأشجار الكثيرة))^(٨٢) ((كثيرة الخصب))^(٨٣) وبعبارات كثيرة^(٨٤) وجاءت هذه العبارات إثناء حديثه عن اغلب المدن ومنها بيسان* وتل حمدون** وفي حديث آخر نجد أبي الفداء يذكر لنا وسائل الري في مدينة حماة ويقول ((وفي داخلها الارحية تدار على الماء وبها نواعير على العاصي فتسقي أكثر بساتينها))^(٨٥)، وتذكر المصادر الحديثة مسميات عن آلات الري منها النواعير والدواليب والشوافق وقد اعتنى المسلمون في توفير المياه من الأنهار للمدن العربية الإسلامية ذات المواضع النهرية الذي يمثل للمدن احد الأوجه المشرقة للمدينة العربية الإسلامية^(٨٦).

أما الثروة الحيوانية فأورد نص عن البحيرة الميتة (البحر الميت) وقال ((ليس فيها حيوان ولا سمك))^(٨٧) وتتعد الحياة الحيوانية بها لأنها بحيرة عديمة الغذاء Dystrophic^(٨٨)، وتطرق بحديثه إلى صيد الحيوانات البرية.

١- جغرافية النقل والتجارة

تعد طرق النقل والتجارة من الجوانب الاقتصادية المهمة في الحياة الاقتصادية للبلدان منذ أقدم العصور^(٨٧) وهذه الأهمية لهذا القطاع ظلت شاخصة إلى يومنا وخاصة التجارة الخارجية لأنها توسع أفق الاطلاع والمعرفة وتسهل الاتصال الثقافي بين الدول والشعوب والأمم ويحصل الأخذ والعطاء فيما بينها عن طريق التجارة والرحلات التجارية وتحصل عملية المنفعة المتبادلة فيصدر ما هو فائض عن الإنتاج ويستورد ما تحتاجه الدولة من سلع وخدمات وحظي قطاع التجارة باهتمام كبير من قبل العرب وكانت لهم علاقات تجارية واسعة^(٨٨).

*بيسان: مدينة صغيرة تقع على الجانب الغربي من الغور(نهر الأردن)(أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٣).

**تل حمدون: قلعة حصينة على تل عالي وأخذ اسم القلعة من اسم التل(أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٥١).

أما جغرافية النقل والتجارة في كتاب أبي الفداء فان النصوص التي تحدثت بها قليلة ولا ترتقي إلى المستوى المطلوب عن هذا الجانب الحيوي, وابتدأ بذكر الجسور على الأنهر ومنها جسر منبج* وقال ((يجاز عليه إلى الأماكن الأخرى))^(٨٩) وذكر جسر على نهر سيحان بمدينة أذنة وقال ((على نهر سيحان قنطرة مبنية من الحجر وتمتد لمسافة طويلة جدا))^(٩٠), وأورد بنص من بين النصوص التي تحدث بها فذكر من أشهر الموانئ البحرية والبرية في نفس الوقت وقال ((أباس ميناء مشهور ومجمعا عظيما لتجارة البر والبحر))^(٩١).

٣- الصناعة والمعادن

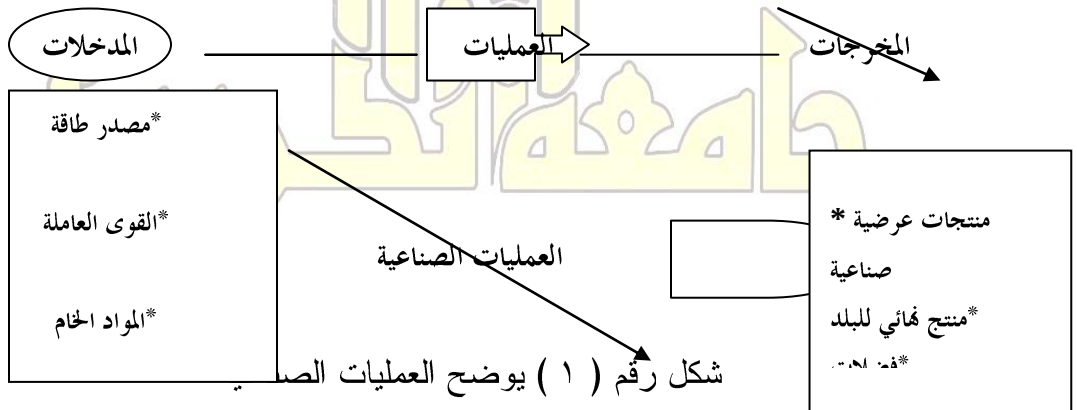
تحدث أبي الفداء في جغرافية الصناعة عن الصناعات الاستخراجية إذ تعد من أهم الصناعات القديمة لما يتضمنه من استخراج العديد من المعادن ومنها

الكبريت الموجود بالقرب من نهر الأردن إذ قال ((وفي ذلك الموقع وعنده مقالع الكبريت وليس بفلسطين معدن غيره))^(٩٢).

وفي نص آخر تحدث عن صناعة الرحاء المشهورة في مدينة يافا^(٩٣) ذاكرًا الأسواق القريبة من مكان الصناعة ووجود وكلاء للتجار إضافة إلى وجود ميناء بحري كبير ترسى بجانبه السفن التجارية القادمة إلى فلسطين وبذلك تأخذ هذه المدينة صفة المدينة الصناعية التجارية، وفي نصوص ذكرها أبي الفداء إنشاء حديثه عن المدن الزراعية ذكر زراعة قصب السكر في مدينتي طرابلس وبلنيس وقال ((ويزرع بها قصب السكر))^(٩٤) وتطرق بالحديث عن الصناعة من خلال إشارات عديدة أشار بها وبعبارة ((وبها عيون)) ((ولها سوق))^(٩٥) دون إي إضافة تذكر.

أما الدراسات الحديثة عن الصناعة والمعادن فتعرف الصناعة أنها العلم الذي يهتم بتوزيع أنماط الصناعات الموجودة على سطح الأرض بصورة عامة أو قسم منه.

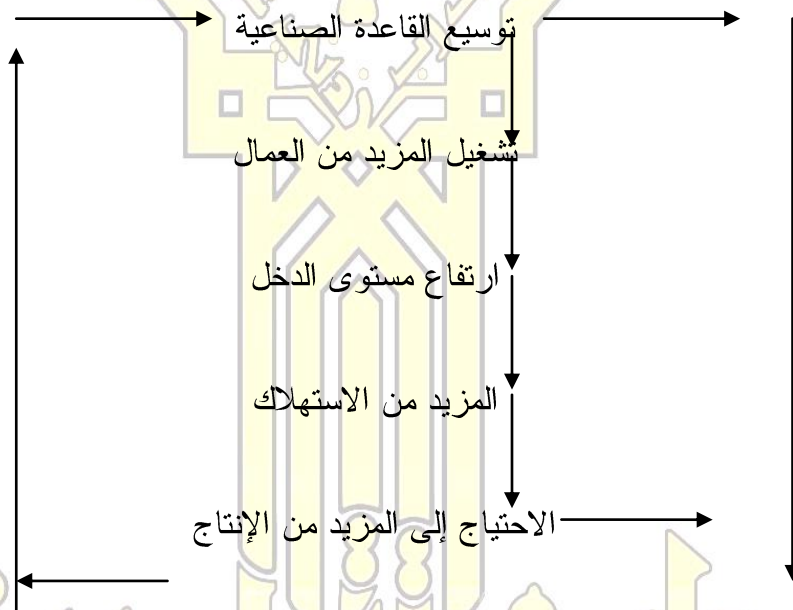
*منبج: مدينة صغيرة في الشمال السوري إلى الشرق من حلب وإلى الغرب من الفرات وأسم الجسر مأخوذ من أسم المدينة (المصدر: يحيى الشامي، مصدر سابق، ص ٦٥)



شكل رقم (١) يوضح العمليات الصناعية

((من عمل الباحث اعتمادا على المصدر/ عبيد سرور العتيبي, جغرافية
اقتصادية, شبكة الإعلام, ص٥, للانترنت, النادي الجغرافي Q8ge,Com))

إن العمليات الصناعية ينتج عنها توسيع القاعدة الصناعية ويحقق تشغيل المزيد
من الأيدي العاملة وارتفاع مستوى الدخل الذي يؤدي إلى الزيادة في الاستهلاك
وبدوره يؤدي إلى الحاجة إلى مزيد من الإنتاج بالشكل التالي:-



شكل رقم (٢) من عمل الباحث يوضح توسيع القاعدة الصناعية

٤- السياحة الترفيهية :

حظي مجال السياحة الترفيهية على اهتمام الدول في الآونة الأخيرة فأعطيت أولويات ضمن خططها وبرامجها التنموية لغرض النهوض بالواقع السياحي، ويعتبر هذا المجال واجهة المدينة ويعكس بينتها النظيفة^(٩٦).

وحديث أبي الفداء في المجال السياحي جاء بإشارات عديدة أثناء حديثه عن المدن، نفهم من خلالها انه يشير إلى ها الجانب قال ((ولجهات أعزاز في نهاية الحسن والطيبة))^(٩٧) وبهذا يذكر أبي الفداء مدينة أعزاز بأنها ذات حسن وأجواء تمتاز بالاعتدال وهذه تدخل ضمن الجانب السياحي، وفي جوانب أخرى تحدث عن مدن السواحل ومنها عسقلان ووصفها بأنها بلدة أثرية وقال ((هي من أجمل مدن الساحل))^(٩٨) وذكر بحديثه أيضا عن بحيرة طبرية ووصف لنا طبيعتها السياحية من حيث امتداد الجبال إلى جانبها وهذه المنطقة تعتبر اليوم من المناطق السياحية وتجذب سنويا نحو نصف مليون سائح^(٩٩) وقال عن البحيرة ((وبالقرب منها حمام يغتسل الناس فيها))^(١٠٠) دون إضافة، وتحدث عن الأماكن السياحية في دمشق وقال ((ومن متنزهاتها المشهورة الربوة))^(١٠١) وذكر مدينة سلمية* بهذا الجانب أيضا وقال ((سلمية بلد نزهة))^(١٠٢) وتطرق إلى المدينة التي تسمى الرصافة**.

* مدينة سلمية: مدينة تاريخية مشهورة في سوريا أعاد بنائها عبدالله بن صالح بن عبدالله بن عبد المطلب وسكانها من بني هاشم من قريش (المصدر: كمال مورديس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، مصدر سابق، ص ٢٧٣).

** الرصافة: اسم لعدة أماكن في بلاد الشام يطلق عليها الرصافة وتقع الرصافة بالقرب من الرقة (بسوريا) والرصافة جانب من مدينة بغداد (أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٧١).

الاستنتاجات :

- ١- استطاع أبي الفداء بخبرته السياسية وعلاقاته الطيبة مع سلاطين المماليك إن يحتفظ بأمرة حماة كملك للحكم الأيوبي.
- ٢- يتضح الاهتمام الكبير لأبي الفداء في مجال التأليف حيث إلف كتباً كثيرة في شتى المجالات منها الجغرافية والتاريخ واللغة والشعر والأدب كما برع في الطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم.
- ٣- امتاز وصف أبي الفداء لإقليم بلاد الشام بالدقة وإحاطته بأغلب أوصافها خصوصاً بأطوال المسافات وطبيعة وتوزيع المدن وأقسام السطح والزراعة وكل الجوانب الطبيعية والبشرية.
- ٤- استخدام نظام الجداول في وصف المدن وهو يعتبر أول جغرافي يستخدم نظام الجداول.
- ٥- أعطى للجانب الزراعي الأهمية الكبيرة في وصف المدن والحديث عنها، بالإضافة إلى اهتمامه على ذكر المسافات بين المدن.
- ٦- قاد مهمات جهادية في تحرير المشاركة في العديد من الغزوات ضد الصليبيين ومنها مشاركته في فتح مدينة عكا.

٧- عرفنا على العديد من الكتب يعد بعضها الآن بحكم المفقود من خلال إيراد نصوصا من هذه الكتب منها كتاب رسم المربع العمود المنسوب لبطليموس وكتاب الأطوال والعروض للفرس.

التوصيات:

- ١- ضرورة التوسع في مجال البحوث والدراسات الجغرافية الخاصة بدراسة الأفكار العلمية التي يتمتع بها الجغرافيين العرب المسلمين.
- ٢- ينبغي طبع مناهج دراسية جديدة تتناول الجانب العلمي في كتبهم الجغرافية بالإضافة إلى الفائدة بتعريف الطلبة بالشخصيات الجغرافية العلمية لان الكثير وللأسف الشديد يجهل معرفة العلماء الجغرافيين العرب بل حتى لا يعرف أسمائهم وإبداعاتهم أو المجال الذي اختصوا به في بحوثهم العلمية.
- ٣- تشجيع إقامة ندوات تعليمية تختص بكتابة موضوعات عن الفكر الجغرافي وبمشاركة جامعات القطر كافة .
- ٤- ضرورة توجيه طلبة الدراسات العليا بالكتابة عن أعلام الجغرافيا العربية الإسلامية وبيان دورهم الريادي في مجال الدراسات الجغرافية .
- ٥- ضرورة الاهتمام بترجمة المؤلفات الجغرافية في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي لكي تكون في متناول الباحثين في الجامعات الأجنبية .

المصادر

- ١- المصدر: الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء, إسماعيل بن علي بن شاه نشاه بن أيوب. تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر 'علق عليه ووضع جوانبه محمود ديوب ط: بيروت , دار الكتب العلمية , ١٩٩٧ح' ص ١٣: وينظر في محمود بن شاذان أكتبي فوات

الوفيات والذيل عليها تحقيق أحسان عباس (بيروت دار صادر ١٩٧٣) ج١ ص ٨٣ وينظر أيضا مادة (أبو الفداء) الموسوعة الحرة شبكة الانترنت العالمي

- ٢- المصدر: طبقات الشافعية الكبرى 'تحقيق محمود محمد الضاحي وعبد الفتاح محمد الحلو (ط , مصر - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه , د.ت) ج٩ ص ٤٠٣.
- ٣- المصدر: الوافي بالوفيات , حققه وعلق عليه : أبو عبدالله جلال الأسيوطي (بيروت , دار الكتب العلمية د.ت) ج ٧ ص ٢١٨.
- ٤- المصدر: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك قام بنشرة محمد مصطفى زيادة (القاهرة , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢, ج٢, ق٢, ص ٣٥٤.
- ٥- المصدر: في مفرج الكروب في أخبار بني أيوب /تأليف جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ج انشرة لأول مرة عن مخطوطات باريس واستانبول وضبطه وحققه وعلق على حواشيه وقدم له ووضع فهرسه الدكتور جمال الدين الشيال /جامعة الإسكندرية في مصر /مطبعة فؤاد ١٩٥٣, ص ٢٨٢.
- ٦- المصدر: الأعلام /قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين تأليف /خير الدين الزر كلي , ج١, بيروت الطبعة السابعة عشرة , أب أغسطس ٢٠٠٧ ص ٣١٩ / وينظر أغناطيوس يوليا ونفتش كراتشكوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي , نقلة إلى العربية صلاح الدين عثمان بن هاشم , (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣, ق١ ص ٣٨٩-٣٩٠).

- ٧- المصدر: الأسنوي, جمال الدين عبدالرحيم (٧٧٢هـ / ١٣٧٧ م) طبقات الشافعية , تحقيق عبدالله الجبوري , رئاسة ديوان الأوقاف , أحياء التراث الإسلامي , بغداد , ١٣١٠هـ / ١٩٧٠م
- ٨- المصدر: ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين احمد بن (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان أنباء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , ص٢٤٠ دار صادر ودار بيروت , ١٩٧٦م .
- ٩- المصدر : البغدادي : إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين , ج٢, ص١٧٣, ط وكالة المعارف , استانبول , (أعادت طبعة بالافست مكتبة مطبعة المثني بغداد ١٩٥١) .
- ١٠- المصدر : أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر والمختصر في أخبار البشر , مصدر سابق ط, دار الفكر ودار البحار , ١٩٥٦ م , دار الكتب العلمية , بيروت , تعليق محمود ديوب .
- ١١- إعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب , صلاح الدين المنجد , مصدر سابق .
- ١٢- المصدر : عمر رضا كحالة , ج٢, ص٢٨٢ و٢٨٣, مصر سابق .
- ١٣- المصدر : قدرى الكيلاني , أبو الفداء ملكا وعالما , في كتاب المؤرخ الجغرافي أبو الفداء صاحب حماة , ص٢٤٢ .
- ١٤- المصدر : كحالة , نفس المصدر والصفحة .
- ١٥- المصدر : تاريخ ابن الوردي , ج٢, ص٢٩٧ , مصدر سابق . وأنظر أيضاً : المنجد , أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب , ص٢٥, مصدر سابق .

- ١٦- المصدر : محمد كرد علي , كتاب القديم والحديث , ص٢٧٠ و٢٧٣ , طبعته المكتبة التجارية , بيروت , ١٩٢٥م .
- ١٧- المصدر : حاجي خليفة , كشف الظنون , مصدر سابق , ج٢ , ص١٥٥٢ .
- ١٨- المصدر : أصفدي الوافي بالوفيات , ج٧ , ص٢١٩ , أكتبي , فوات الوفيات , ج١ , ص١٨٤ , الحنبلي , شذرات الذهب , ج٦ , ص٩٨-٩٩ .
- ١٩- المصدر : حاجي خليفة , كشف الظنون , نفس المصدر , ج٢ , ص١٢٧٤ .
- ٢٠- المصدر : أعلام الجغرافيين العرب , للزركلي , ج١ , ص٣١٧ .
- ٢١- المصدر : معجم المؤلفين , ج١ , ص٢٨٣ .
- ٢٢- المصدر : الأعلام , للزركلي , مصدر سابق , ج١ , ص٣١٧ .
- ٢٣- المصدر : الأعلام , نفس المصدر والصفحة .
- ٢٤- المصدر : أصفدي بالوفيات , ج٧ , ص٢١٩ , الأعلام للزركلي , نفس المصدر , ج١ , ص٣١٨ .
- ٢٥- المصدر : كشف الظنون , ج١ , ص٦٢٥-٢١٩ , وراجع أيضا ألسبكي , طبقات الشافعية , ج٩ , ص٤٠٤ , وراجع أيضا ابن كثير البداية والنهاية , ج١٤ , ص١٥٨ .
- ٢٦- أبي الفداء , تقويم البلدان , مصدر سابق , ص٢٢٦ .
- ٢٧- كورة: تعني الكورة كل صقيع يشتمل على قرى عديدة , ولابد لهذه القرى من قصبة , والقصبة مدينة الكورة العظمى عاصمتها(انظر: نداء نجم الدين العبيدي , دور الفكر العربي الإسلامي في تحديد مفهوم

- الجغرافية الإقليمية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ٩.
- ٢٨- الغور: وادي مابين جبليين وهو في منخفض من أراضي الشام وقسم منها من الأردن والقسم الآخر من فلسطين وينتهي هذا الغور بالبحيرة المنتنة (البحر الميت) أو ما تسمى أيضا زغر وهو من أسماء البحر الميت. (انظر أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٢٦).
- ٢٩- الجبال والشرارة:- وهي مناطق جبلية يمتد بين بين وادي إلى وجبال مدين في شمال الحجاز وتعتبر اعلى سلسلة جبلية في فلسطين حيث يبلغ ارتفاعها ١٨٠٠ متر عن مستوى سطح البحر (انظر: داود صليبييا مصطفى الحاج إبراهيم، العالم العربي، مصدر سابق، ص ١٦٩).
- ٣٠- داود صليبييا، ومصطفى الحاج إبراهيم، العالم العربي، مصدر سابق، ص ١٦٧.
- ٣١- حسام جاد الرب، جغرافية العالم العربي، جامعة أسيوط، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٦.
- ٣٢- حسام جاد الرب، نفس المصدر، ص ٥٠.
- ٣٣- شوط فرس: هنا ذكر أبي الفداء المسافات بين بين أريحا وبحيرة زغر (البحر الميت) مسافة شوط فرس ١٥٠٠ تقريبا ثم يأخذ الراحة في السير البطيء.
- ٣٤- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٢٨.
- ٣٥- أبي الفداء، تقويم البلدان، مصدر سابق، ص ٢٢٦.
- ٣٦- أبي الفداء، نفس المصدر والصفحة.
- ٣٧- محمد سعيد عمر الحديثي، المناخ والتربة وتأثيرهما إقليميا على زراعة النخيل في العراق، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٥٢.

- ٣٨- علي احمد هارون, جغرافية الزراعة, ط١, دار الفكر العربي, القاهرة, ٢٠٠٠, ص٨٨.
- ٣٩- عماد الدين عبد الرزاق العباسي, نظرة إلى فن الفلاحة في الإسلام, مركز إحياء التراث العلمي العربي, جامعة بغداد, العدد الأول, ٢٠١٤, ص٩٤.
- ٤٠- (أبي الفداء, مصدر سابق ص٢٢٧).
- ٤١- قسطنطين خمار, موسوعة فلسطين الجغرافية, مصدر سابق, ص٧٥.
- ٤٢- المصدر: أبي الفداء, مصدر سابق, ص٢٢٨-٢٢٩.
- ٤٣- مصياف: هي بلدة صغيرة تقع بالغرب من حماه من جهة الغرب سير يوم واحد (أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٣٠).
- ٤٤- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٣١.
- ٤٥- نهر العاصي: يخرج من جبل لبنان وهو سلطان انهار الشام ويسمى العاصي لأنه عالي الحافات على جانبيه لا يروي ما حوله من الأراضي إلا بواسطة النواير ولهذا سمي العاصي, ويسمى بالنهر المقلوب لجريانه من الجنوب إلى الشمال (أنظر: أبي الفداء, نفس المصدر, ص٤٩).
- ٤٦- الهرماس والخابور: وهما نهران يلتقيان عند نصيبين وقبل إن يلتقيان يتفرع من الهرماس الثرثار وبعد تفرع يلتقي بالخابور ثم يصب الخابور في الفرات (أنظر: إبراهيم المشهداني, جغرافية العالم العربي, مصدر سابق, ص٤٠).
- ٤٧- نهر الأردن: وهو نهر الغور ويسمى الشريعة أيضا. واصله ينبع من انهار من جبل الثلج والمقصود بجبل الثلج هو السطوح الغير

جنوبية الغربية لجبال لبنان حيث يجري ٣٨٨ كم ومن بحيرة طبرية إلى مصبه في البحر الميت (انظر: إبراهيم المشهداني, جغرافية العالم العربي , مصدر سابق , ص ٤٢). وبحيرة طبرية هي بحيرة في طرف جبل الطور مطل عليها وهي اسم لمدينة في الغور الفلسطيني تسمى طبرية وتتميز بهوائها الجاف الصحي ووفرت مياهها الاستسقاء في بلاد الشام .(أنظر: المسالك والممالك : ٢٤/١).

٤٨- Mib I . Harpsteed ,Francis,D :Hole ,Soil science simplified,Firstedition, lowastate ,university press,Iowa.U.S.A. 1890. P.....3.

٤٩- إبراهيم شريف ,التربة تكوينها وتوزيعها وأنواعها وصيانتها , دار الثقافة للطباعة والنشر ,الإسكندرية ,١٩٦٠, ص ١.

٥٠- علي حسين شلش,جغرافية التربة , مصدر سابق ,ص ١٤.

٥١- أبي الفداء ,تقويم البلدان , مصدر سابق , ص ٢٢٧.

٥٢- أبي الفداء ,نفس المصدر والصفحة .

٥٣- أبي الفداء ,نفس المصدر ,ص ٢٦١.

٥٤- صالح فليح حسن إلهيتي , شواهد في جغرافية العراق التاريخية من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للسعودي , مجلة البحوث الجغرافية ,كلية التربية , مصدر سابق ,ص ٢٨.

٥٥- أبي الفداء ,تقويم البلدان ,مصدر سابق ,ص ٢٢٨.

٥٦- قسطنطين خمار ,موسوعة فلسطين الجغرافية , مصدر سابق ,ص ٥١.

٥٧- أبي الفداء , نفس المصدر والصفحة .

٥٨- نفس المصدر ,ص ٢٣٢.

٥٩- نفس المصدر ,ص ٢٣١-٢٣٩-٢٤١-٢٤٧-٢٥٣-٢٥٥.

٢٥٧-٢٥٩-٢٦١-٢٦٣-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٩.

- ٦٠- فيليب رفة واحمد سامي مصطفى , جغرافية الوطن العربي
مصدر سابق, ص٢٩٥.
- ٦١- المتمردين: التمرد هو عصيان وخروج عن طاعة السلطة
التمثلة بالدولة وينم عنه قطه الطرق والسوط على أملاك الدولة,
وجاءت معالجة العصيان الذي حصل إثناء حكم أجداد أبي الفداء لمدينة
حماة كما ذكر أبي الفداء ببناء حصن حولهم يفرض عليهم حصارا إلى
إن استسلموا كما قال ((دخلوا الطاعة)) (المصدر: أبي الفداء, نفس
المصدر, ص٢٢٨).
- ٦٢- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٢٩.
- ٦٣- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤١.
- ٦٤- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٥-٢٢٥١.
- ٦٥- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٢٩, والشوبك: بلد صغير يقع
شرق الغور (نهر الأردن) (المصدر: أبي الفداء, نفس المصدر,
ص٢٤٧).
- ٦٦- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٣٢.
- ٦٧- ثغور أذنة وطرسوس: الثغور هي أماكن ذات كثافة سكانية تقع
على السواحل البحرية أو الجبلية على حدود بلاد الشام والبلاد العربية
الأخرى وهذه الأماكن التي يصعب على المهاجم اختراقها, طرسوس
مدينة استحدثها المأمون بن الرشيد وجعلها مدينة وبنى لها سورين وكان
فيها من الفرسان والرجال والخيول المستعدة لأي طارئ يقدم عليه
الروم (المصدر: أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٩).
- ٦٨- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤١.
- ٦٩- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٧.

- ٧٠- عمان: مدينة أثرية قديمة ذات مساحة كبيرة من العمران والبناء ويمر بالقرب منها نهر الزرقاء, (المصدر: أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٧).
- ٧١- مدينة حمص: حصص مدينة أولية وهي احد قواعد الشام وفيها الكثير من البساتين وتروى من نهر العاصي(المصدر: أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٦١).
- ٧٢- الرستاق: يمثل الرستاق منطقة زراعية بما فيها من قرى (راجع: الحموي, معجم البلدان, ج٤, دار صادر, بيروت, ص٣٥٣).
- ٧٣- أبي الفداء, نفس المصدر, ص ٢٢٩-٢٣١-٢٣٤-٢٣٩-٢٤٣-٢٤٥-٢٤٧-٢٤٩-٢٥١-٢٥٣-٢٥٥-٢٥٧-٢٥٩-٢٦١-٢٦٣-٢٦٥-٢٧١.
- ٧٤- جمال حمدان. جغرافية المدن, ط٢, عالم الكتب, القاهرة, بدون تاريخ, ص٢٩.
- ٧٥- حصن عجلون: عجلون من الحصن والمواقع الدفاعية المهمة التي بناها عز الدين أسامة من ابرز قادة وأمراء صلاح الدين الأيوبي(المصدر: أبي الفداء, ص٢٤٥)وبيسان:- مدينة صغيرة محاطة بالبساتين وأنهار وأعين وتقع على الجانب الغربي من الغور(نهر الأردن). (المصدر: أبي الفداء نفس المصدر, ص٢٤٣).
- ٧٦- صلاح الدين الشامي, الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة, مطابع رواد للإعلان, منشأة المعارف, الإسكندرية, ١٩٨٠, ص١٨١.
- ٧٧- مسجد دمشق: مسجد دمشق من أشهر المساجد في بلاد الشام وأعيد ترميمه في زمن الوليد بن عبد الملك فعمره وجعل أرضه رخاما مفروشا وجعل وجه جدرانه رخاما مجزعا ورؤوس أساطينه ذهباً

وسطحه رصاصا ويقال انه انفق عليه خراج الشام(المصدر: أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٠).

- ٧٨- أبي الفداء نفس المصدر، ص ٢٣٦.
- ٧٩- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٦.
- ٨٠- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٦٧.
- ٨١- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٦٩.
- ٨٢- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٤١-٢٤٣-٢٤٥-٢٤٧-٢٤٩-٢٥١.
- ٨٣- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٦٣.
- ٨٤- احمد علي إسماعيل، المدينة العربية الإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي، رسائل جغرافية، نشرة دورية محكمة تعنى بالبحوث الجغرافية، قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ١٠٣، ١٩٨٧، ص ١٢.
- ٨٥- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٢٨.
- ٨٦- عبد العباس فضيخ الغريزي وسعدية عاكول أالصالح، جغرافية الغلاف الجوي(النبات والحيوان) ط١، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٨، ص ١٦٧.
- ٨٧- محمد سعيد نصر، جغرافية النقل، مصدر سابق، ص ٢٩.
- ٨٨- خلود علي هادي، مصدر سابق، ص ٩٨.
- ٨٩- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٤.
- ٩٠- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٤٩.
- ٩١- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٤.
- ٩٢- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٦.
- ٩٣- أبي الفداء، نفس المصدر، ص ٢٣٩.

- ٩٤- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٥٣-٢٥٥.
- ٩٥- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٥٣-٢٦٩.
- ٩٦- مؤمن محمد ديب نصر, التخطيط العمراني من منظور جغرافي, غزة, فلسطين, ٢٠٠٣, ص١٧٦.
- ٩٧- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٣٢.
- ٩٨- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٣٩.
- ٩٩- مسعود الخوند, الموسوعة الجغرافية التاريخية, مصدر سابق, ص٣٧٦.
- ١٠٠- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٤٣.
- ١٠١- دمشق: مدينة مشهورة وهي قاعدة الشام وغطتها إحدى الجنان الأربعة المفضلة على متنزهات الأرض وهي غوطة دمشق وشعب بوان ونهر الابلّة وصفد سمرقند, أما الربوة فهو اسم لكهف في أودية مدينة دمشق(المصدر: أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٥٣).
- ١٠٢- أبي الفداء, نفس المصدر, ص٢٦٥.

Abstract:

The geography at the forefront of science accorded to Arab Muslims lot of interest, including Abu-Al-Fedaa spite of the great achievements of the Arab Muslim Scholars, the Arab and Islamic nation suffered in the recent history of the movement of the ugliest erasure movements, in order to obliterate the Arab character landmarks of Islamic and the elimination of the historical merits.

Must authorized a nation such as the Islamic Arab nation wants to regain its place in the community of nations that are working hard on the same knowledge and achieve a full investigation and that's what we want in our research, as well as to identify the role of Dad redemption in regional



geographical studies, the study relied on the investigation in a book Abu-Al-Fedaa printed in the city of Paris in 1850.

The study found that the book calendar countries for dad redemption and through the presentation of geographical topics on the Arab world really be a reference geographically and historically, economically and socially to his age, also found that the purpose of Abu-Al-Fedaa that was aspired to achieve is large goals we have Oqovernma worldly as it moved away from achieving a material interest in the book, and this is what called him to mastery and perfection is known as the king and Prince of the material does not need to goal but he was sponsoring scientists and Ickramhm.

Regional destination was more successful in the territories of the Arabs as the region as a unit, and so was its regions Arabic more closely resemble the current division, the study found also that he had already his time and approached the modern times in the way of research and the study and treatment of scientific material and achievable view, and committed regional approach gave his interest in human geography that was It did not neglect the natural aspects.

جامعة تكريت